

التقدير، فحيثُ نادى في الظلمات ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّا لَهُ مِنَ الْفَحْرِ وَكَذَلِكَ نُشَاحِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَذَرِكُمْ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ لَأَبْتَدَأُوا بِآلِ عَادٍ إِذْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ فامر الله الحوت فألقاه بالعراء.

﴿فَأَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿فَأَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روى الإمام أحمد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ﴾ ليفذونك ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾ أي يعينونك بأبصارهم، يعني يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين وإصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. روى أبو داود عن رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ» وروى مسلم في صحيحه: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا» انفرد به دون البخاري، وعن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل ﷺ» أخرجه البخاري وأهل السنن. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾ أي يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون إنه لمجنون، أي لمجيئه بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾.

تفسير سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَعَثُوا فَخَسِرَ أَصْحَابُ الْمُنَافِقِ ﴿٤﴾ وَأُولَئِكَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ وَأَمَا عَادٌ فَأَمَّا عَادُ فَأَمْطُوا كُفُؤَهُمْ عَلَى الْعَيْنِ ﴿٦﴾ وَأَنَّا نَسُفُهُمْ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

الحاقة من أسماء القيامة، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِقَاءُ رَبِّكَ﴾ ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين فقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ وهي الصيحة التي أسكتهم والزلزلة التي أسكنتهم ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَمْلِكُوا يَبْرِيجَ مَصْرَصِرٍ﴾ أي باردة ﴿عَارِيَتِهِمْ﴾ أي شديدة الهبوب ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي سلطها عليهم ﴿سَبَّحَ لَيْلَالٍ وَنَهْيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي كوامل، متابعات مشائيم ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ غَصْبٍ﴾ أي جعلت الريح تضرب بأحدهم فيخر على أم رأسه فينشرخ رأسه، وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان. وقد ثبت في الصحيحين: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور». ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم، أو ممن ينتسب إليهم، بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً.

﴿رَبِّمَا فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ فَصَوَّرَ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتَّ كُرُ فِي الْغَابِرِ﴾ لِتَجْمَلَهَا لَكُرُ نَذْرَةً وَتَعْيِبًا أُذُنٌ وَرِعِيَّةٌ ﴿رَبِّمَا فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ من الأمم المشبهين له ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسول ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله، أو ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالمعصية، أو بالخطايا ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس، أي كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ كَذَبٍ أُرْسِلَ بِحَقِّ وَعِيدٍ﴾ [ق: 14] ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 123] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 141] وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ أي عزيمة شديدة أليمة. ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي زاد على الحد بإذن الله، وارتفع على الموجود، وذلك بسبب دعوة نوح ﷺ على قومه حين تذبذبه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له، وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالتاس كلهم من سلالة نوح وذريته ولهذا قال ممتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتَّ كُرُ فِي الْغَابِرِ﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿لِتَجْمَلَهَا لَكُرُ نَذْرَةً﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه، أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُرُ مِنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴿الزخرف: 12، 13﴾ ﴿وَتَعْيِبًا أُذُنٌ وَرِعِيَّةٌ﴾ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن عقلت عن الله فانتمت بما سمعت من كتاب الله.

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَاحِدَةً﴾ وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿فِيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمِذٍ وَاهِيَةً ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِبِهَا وَيَجْلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِذٍ نَهْنِيَةً﴾ يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة النزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة، لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿٧﴾ فمدت مد الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١٥﴾ أي قامت القيامة ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَيَوْمَئِذٍ وَاهِبَةٌ﴾ ﴿٢١﴾ كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ﴿٦٦﴾ [النبا: 19] ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك اسم جنس، أي الملائكة على أرجاء السماء أي على حافاتهما ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٧﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر. روى الإمام أحمد عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله» ورواه ابن ماجه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ فهو في عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة، وفرحه بذلك، وأنه من فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ أي خذوا اقرؤوا كتابيه، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضه لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَةَ﴾ أي قدراً موقتماً في الدنيا أي هذا اليوم كائن لا محالة ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها. وقد ثبت في الصحيح «إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض: ﴿قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾ قريبة، يتناولها أحدهم، وهو نائم على سريره ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَرَأُوتِ كِتَابِيَةَ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَرَأُوتِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجَحِيمٌ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ

ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْأَلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ
أَيُّومٌ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةً ﴿٣٥﴾ وَلَرَأَوْتُ مَا حَسَابِيَّةً ﴿٣٦﴾ يَلَيْتَنِي كَأَنِّي الْفَاقِيَّةُ ﴿٣٧﴾﴾ يعني موته لا حياة بعدها. قال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٣٨﴾ هَلَّاكَ عَنِّي سَطْنِيَّةٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلس الأمر إلي وحدي، فلا معين لي ولا مجبر، فعندها يقول الله عز وجل: ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ لَجَّجِمُ صَلْوَهُ ﴿٤١﴾﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم فتصلبه إياها، أي تغمره فيها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْأَلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ولا يؤدي حقهم، فإن الله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ أَيُّومٌ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى، لا حميم، وهو القريب، ولا شفيع الخاطئون ﴿٣٧﴾، ولا طعام له ههنا إلا من غسيلين، هو شر طعام أهل النار، وقيل: هو الزقوم، أو هو الدم والماء يسيل من لحومهم.

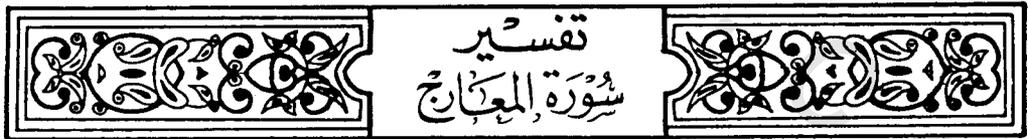
﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصِّرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصْرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقهم بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصِّرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصْرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ يعني محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل. ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته سبقني إلى المسجد، فممت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، قال فقراً ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال: فقلت: كاهن، قال: فقراً ﴿وَمَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَسْكُرُ

مِنَ أَمْرِ عَتَّةَ حَجْرِينَ ﴿٤٧﴾ إلى آخر السورة. قال فوق الإسلام في قلبي كل موقع، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر رضي الله عنه.

﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا﴾ أي محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ أي لانتقمنا منه باليمين، لأنها أشد في البطش ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ هو نياط القلب، وقيل: هو البطن ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في ذلك بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يعني القرآن، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [نصفت: 44] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة، ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَجْرِبِينَ ﴿٢١﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعرا: 200، 201] وقال تعالى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سبا: 54] ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب. ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾

فيه تضمين دل عليه حرف الباء، كأن تقديره «استعجل» أي استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿رَسْتَعِجْلُوكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: 47] أي وعذابه واقع لا محالة. وفي النسائي أن هذا السائل هو النضر بن الحارث. أو هو سؤال الكفار عن عذاب الله، وهو واقع بهم، أو دعا